الشعر والأخلاق حتّى نهاية القرن الرابع الهجري

عباس هاني الجراخ **مهدية شاكر حسين**
أعدادية الحرية السائية المهنية
mahdya.shaker@yahoo.com alcharaq65@yahoo.com

الخلاصة

زعمَ الكفارُ أَنَّ القرآن الكريم هو شعر يأتي من إلهام أرواح عالم الجن والانس، وعندما عرفوا القرآن رفضوا قبوله أو الانصيَاع لمبادئه، وعندما جاءَ الاسلام أراد أن يوظف الشعر في خدمة الدين الجديد، ويكون مُنسجمًا مع المرحلة الجديدة للحياة الإسلامية.

إنَّ الإسلام لم يحرم الشعر، ولكنه أراد منه أنْ يسير وفق الايديولوجية " الفكرة " التي طرحها، من حيث الدفاع عن الإسلام ومبادئه وأسسه، فقد أوضح المصطفى ﷺ أنَّ الشعر نتاج إنساني، فيه الخير والشر؛ ففيه الذي يدعو إلى الفضائل والأَخلاق الحسنة، وفيه الذي يدعو إلى الرذائل والسفه، أما في عصر الخلفاء الراشدين فقد اصبح الشعر فاعليه علمية لا إبداعية ملتزماً بمبادئ الإسلام. وعند خروج الشعراء على الرؤية الإسلامية، عَدَّ الإسلام هذا الخروج خروجًا على النواميس الدينية، لأَنَّ أصحابهُ أرادوا أنْ يغيِّروا الواقع المثالي ، كان هذا أمرًا ينافي الفكرَ الدينيَّ، وكان العقاب هو النتيجة التي واجهها هؤلاء الشعراء، كالقتل أو النَّفي أو الجَلد أو هدر الدم، وقد رأينا أَنَّ ذلك يعني إلغاء الشِّعر، فلم يكونوا شعراء، بل كانوا أقرب إلى كَونِهِم خطباء.

الكلمات المفتاحية:الشعر، الاخلاق ، عهد الرسول ، موقف النقاد.

Abstract

Infidels claimed that the Koran Poetry is the inspiration comes from the world of the lives of the jinn and mankind And when they knew the Koran accepted or refused to comply with the principles, and when it came he wanted to Islam Hair employed in the new debt service, and be consistent with the new phase of life Islamic.

Islam does not forbid hair, but he wanted him to go according to ideology "The idea," put forward, in terms of the defense of Islam and its principles and foundations. He explained Mustafa that the product of a human hair, in which good and evil; which is subject to calls for Virtues and good morals, and which calls for the vices and extravagance, but in the era Caliphs were not scientific hair became creative Effectiveness committed to the principles of Islam And at the exit of the poets on the Islamic vision, counting Islam this out departure from the Religious norms, because the owners wanted to change the ideal fact, that was something contrary Religious thought, and the punishment is the result faced by these poets, such as murder or exile Or skin or waste of blood, we have seen that this means the abolition of the hair, not be poets, but They were closer to being preachers.

المقدِّمة:

عندما ألقَى الإسلام بجرانهِ في ربوع الجزيرة العربية، في مستهل القرن السابع الميلادي، كان يبغي إخراج العرب من ظلمات الجاهلية الوثنية المادية إلى أضواء روحية سماوية، تؤكد ـ فيما تؤكد ـ المحبة والخير والسَّعادَة في الدَّارَين.

ولقد ظهر الإسلام والبلاغة العربية في ذروتها، ولكن لم يكد العرب يستمعون إلى القرآن الكريم حتى اعتراهم الانبهار أمام بلاغته التي تتعدى العقول والإفهام، لذلك تصدى زعماء قريش للدين الجديد، حتى زعموا أنَّ النبيَّ محمدًا ﷺ شاعر، ثم مجنون، وساحر، وكاهن، وهي صفاتٌ نفاها عَنْهُ القرآن الكريم[١].

ولعلنا نقف عند تلك الكلمات لِنَرَى مَدلولاتها التي أطلقتْ على النَّبِيِّ الكَرِيمِ ﷺ ، فالكاهن والمجنون والشاعر والساحر يجمع بينهم الإيهام والضلالة والغواية، والمجنون صلته واضحة بالقوى الخفية: الجن، فهو مَنْ أَصابته الجن أو سيطرت عليه، ومن أرض الجن: عبقر، ثم نسب إليه كل عمل جليل دقيق الصنعة [٢].

إنَّ زَعْمَ الكفار أنَّ القرآن الكريم هو (شعر) وأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ شاعرٌ، يأتي مِن أنَّ الشاعر لا يستعمل اللغة كما يفعل الناس، بل عن طريق (وَحْي) من شيطان الجن، وعرف عن الشيطان أَنه مصدر السحر، والسِّحرُ قَلْبُ الشيء في عين الإنسان وليس بقلب الأعيان[٣]، علاوةً على اعتقادهم أنَّ الشعر (إلهام) من أرواحٍ سُفليَّةٍ من عالم الجن والشياطين، وعندما عرفوا القرآن رفضوا قبوله أو الانصيَاع لمبادئه، بعدَ أن ربطوا بينَهُ وبينَ السِّحر لاعتقادهم أنَّ في آياتهِ قُوَى غيبيَّة شيطانيَّة تؤثِّرُ في النُّفوس، وتنفصل عن الواقع.

إنَّ القرآن الكريم مصدر سماوي (إلهيّ)، والسحر كان فعلاً لا قولاً ، وانَّ الجامعَ بين الشعر والقرآن هو القول ومادة اللغة.

لقد حاول الإسلام أنْ يُوَظِّفَ الشِّعرَ فِي خِدمَةِ الدين الجديد، لذا رأى أنَّ الشعرَ الجاهليَّ مصدر خداع وغواية، وأَن الشُّعَرَاءَ ﴿**يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**﴾ [٤]، بإثارتهم للنزعات الذاتية، وامتداح القيم الجاهلية، ومن الطبيعي أنْ يدعو الإسلام إلى مفهوم أخلاقي للشعر ينسجم مع المرحلة الجديدة للحياة الإسلامية، فهو قد استثنى ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [٥] من الذين واكبوا الدين الجديد، واهتدوا بِهَدْيه.

فالإسلام يريد من الشاعر أنْ يصدر عن رؤيا إسلامية للعالم الإسلامي الجديد، ولمَّا كانتْ هذِه الصورة واضحة وكاملة وموجودة في كلام الوحي، فَإنَّ على الشَّاعر أنْ يتقيَّدَ بذلك، ولا يُسمح بتدخل ذات الشاعر فيها أو إعادة النظر، فالشاعر ـ على هذا ـ مُتلَقٍّ، وأَنَّ مُهِمَّتَهُ هي في توضيح هذه الصُّورة وتفسيرها فقط.

عهد الرسول ﷺ

كان الرسول المصطفى ﷺ يحبُّ الشِّعرَ ويُدركُ قِيمَتَهُ وتأثيرُهُ في النفوس، لذا عامله معاملة سائر أنواع القول، من ذلك قوله: «لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين» [٦] و« الشعر كلامٌ من كلام العرب جَزْلٌ، تتكلم به في بواديها، وتَسُلُّ به الضغائن من بينها» [٧].

ولعل قوله « إنَّ من البيان لسحرًا، وإنَّ مِنَ الشِّعرِ لَحِكمَةٍ» [٨] دليل على هذه الأهمية، وأنَّ الشاعر يبلغ ببيانه ما يبلغه الساحر بلطافة حيلته في سحره[٩] .

---

[١] ينظر: سورة الصافات: ٣٦.

[٢] ينظر: المصباح المنير(عبقر): ١٤٨. ولسان العرب: ١٨.

[٣] اللسان(عين).

[٤] سورة الشعراء: ٢٢٦.

[٥] سورة الشعراء: 227 .

[٦] العمدة: ١/٣٠.

[٧] المصدر نفسه:١/٢٨.

[8] مسند الإمام أحمد: ٢/ ٥٩١، العمدة: ١/٣٧.

[9] ينظر: جمهرة الأمثال: ١/١٥، الإسلام والشعر: ٥٢ ـ ٥٣.

وأوضح عليه الصلاة والسلام أنَّ الشعر نتاج إنساني، فيه الخير والشر، فيه الذي يدعو إلى الفضائل والأَخلاق الحسنة، وآخر يدعو إلى الرذائل والسفه، فقال: « إنَّما الشعر كلام مؤلف، فما وافقَ الحَقَّ فَهوَ حَسن، ومـــــا لـــــم يوافـــــق الحـــــق فـــــلا خيـــــرَ فيـــــهِ» [١٠]، فـ (الموافقة) مع (الحق) أو عدمه، هي التي تميز الشعر الذي يقف إلى جانب مبادئ الإسلام من الذي لا يكون كذلك.

ونلحظُ في النصوص التي وصلتْ إلينا إثابة النبيِّ ﷺ الشعراءَ الذين يقفون مع الفضائل الإسلامية، في الوقت الذي يرفض غيرهُم من الذين ظلُّوا عالقين بتقاليد الجاهلية وضلالها وأوابدها.

وكان الشعر وسيلة لخدمة الدين، فعند اشتداد أوار المعركة مع المشركين دعا عليه الصلاة والسلام الشعراء إلى الدفاع عن العقيدة، وقال لحسان: « اهجهم (أي: قريشًا) فو الله لهجاؤك عليهم أشدّ منْ وَقْع السهام في غلس الظلام، أُهجهم ومعك جبريل روح القدس» [١١].

وحتى الأغراض التقليدية اصطبغت بطابع الدين الجديد، إذْ أَدخلَ الشُّعراءُ فيها الألفاظ والقيم الإسلامية التي تتنافى مع ما عرفوه قبل الإسلام.

من ذلك قول الحُصَين بنِ الحِمَام المُرِّيِّ[١٢] :

أعـــــوذُ بِـــربِّـــــي مِـــــنَ الـمُـخـزيـــــا ت يَـــومَ تَـــرَى النَّفـــسُ أَعـــمَالها

وخـــــــفّ المـــــــوازين بالكـــــــافرين وزُلزِلَـــــــتِ الأَرضُ زلزالهـــــــا

وعندما وصلَ النابغةُ الجعديُّ إلى قولهِ من قصيدةٍ لهُ [١٣]:

بلغنـــا الـــسَّمَاءَ مَجـــدنا وجـــدودنا وإنَّـــا لَنرجُـــو فـــوق ذلـــك مظهـــرا

فقال النبي ﷺ:أين المظهر يا أبا ليلى؟ ، فقال النابغة: الجَنَّةَ يَا رَسُولَ اللهِ ، فقالﷺ:« أجل إنْ شاءَ الله تعالى» [١٤].

ونرى في شعر كعب بن زهير وغيره «إشعاعات إسلامية مختلفة، كانت تسيل على ألسنة أهل المدينة بأكثر مما كانت تسيل على ألسنة النجديين» [١٥].

وتتجلَّى مواقفُ الرسول ﷺ أيضًا في أقواله في شعراء الجاهلية، فقد وُصِفَ امرؤُ القيس بأنه « صاحب لواء الشعراء إلى النار» [١٦]، وفي رواية أخرى: « ذَلك رجل مذْكور في الدنيا شريف فيها، وفي الآخرة خامل فيها، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار» [١٧] .

وهذا الموقف الأَخلاقيّ مُنصَبٌّ على الصُّوَر الوَصفية الفاحشة في غزل امرئ القيس، وليس المراد به شعر الشاعر عامة أو شخصه على الحقيقة[١٨].

---

[10] العمدة: ٢٧/١.

[11] المصدر نفسه:١٨/١.

[12] شعر الحصين بن الحمام المري، مجلة (المورِد)، مج ١٧، ع ٣، ١٩٨٨م ، ص ١١٠.

[13] ديوان النابغة الجعدي: ٧١.

[14] معجم الشعراء: ١٩٥.

[15] التطور والتجديد في الشعر الأموي:١٨.

[16] مسند الإمام احمد: ٢٢٨/٢.

[17] الشعر والشعراء:١/ ١٢٦.

[18] ينظر: محاضرات في تاريخ النقد العربي: ٣٠.

وهذا ينسحب على الهجاء في قوله ﷺ « مَنْ قالَ في الإسلام شعرًا مُقذعًا فلسانه هَذر» [١٩]، أو الشعر البذيء لا عامة الشعر. قوله: « لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا ودما خيرٌ منْ أنْ يمتلئ شعرًا هُجِيْت به»[٢٠].

والأخبار تؤكد تزويده لأشطر من أبيات شعراء جاهليين فيها شيء من الحكمة (والأَخلاق)، مثل بيت طرفة بن العبد، الذي قال عنه:« ليس من بيت إلاَّ وفيه مطعن لطاعن إلاَّ قول لطرفة[٢١]:

سَتُبدِي لكَ الأيَّامُ ما كُنتَ جاهلاً ويأتيك بالأخبارِ مَنْ لم تُزَوَّدِ»

وقد روى عجزه: ويأتيك مَنْ لم تزود بالأخبار[٢٢].

ولما سمع قول أمية بن أبي الصلت[٢٣]:

الحمد لله ممسانا ومصبحنَا بالخير صبحنا ربي ومَسَّانا

قال عليه السلام:" إنْ كاد أميةُ لَيسلم ". وقال: « آمَنَ شِعرُهُ وكَفَرَ قَلبُهُ» [٢٤].

ولعلَّ فيما قدمنا من نصوص ندركُ أنَّ الرسول ﷺ هَدَفَ إلى (توظيف) الشعر لخدمة الإسلام، وبتعبير أدقّ، كان على الشعر أنْ يحذو حَذوَ الدِّين في التعبير عن الإسلام بكماله وصفاته ووضوحه[٢٥]، لها رأينا النبي ﷺ يثيبُ الشُّعراءَ الذين انضمُّوا لِرَكْبِ الدين، في الوقت الذي أهدرَ دَمَ بَعضِهِم كابْنِ الزِّبَعرَى[٢٦].

ولما كان الشعر ذاتيًا، يَتَحَدَّثُ فيه الشَّاعرُ عن الـ(أنا) بكل ما فيها من خير وشر، وان لا ذاتية في الإسلام، عرفنا أنَّ الموقف الإسلامي من الشعر يدعُو إلى أنْ يكون (مثاليا)، يخدم الجماعة والدين، لا (ذاتيًا) يقتصر على النفس، وقد استمر ها الموقف (الرسمي) بعد الرسول ﷺ ، وإنْ شَهِدَ حالات (خروج) متكررة عليه، وهذا الخروجُ هو من طبيعةِ الشِّعرِ نَفسِه.

عهد الخلفاء الراشدين

ظلَّ الشِّعرُ في عهد الرسول ﷺ جاهليًا في تقاليدِهِ ومضمونه، أمَّا تأثره بالإسلام فقد كان عرضِيًا، وفي مجالٍ ضيق، أما في عصر الخلفاء الراشدين فقد استمر الالتزام بمبادئ الإسلام، وعدم الخروج عليها.

ولم يكن يسيرًا على الشعراء أنْ يستبصروا جِدَّة الرؤية الإسلامية، وهم ما زالوا في طور التقليد للقيم التي توارثوها في الجاهلية، لذا وردت نصوص كثيرة عن اصطدام هؤلاء الشعراء مع الموقف الجديد، والمتمثل بالسلطة (الخلفاء).

---

[19] النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٩/٤ .

[20] الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة: ٢٢٢.

[21] ديوان طرفه بن العبد: ٢٩.

[22] زهر الآداب: ١٠٩٣/٢، وينظر: الإسلام والشعر: ٧٢.

[23] أمية بن أبي الصلت حياته وشعره: ١٤١.

[24] الإسلام والشعر: ٧١.

[25] يُنظر مقالنا: موقف الإسلام من الشعر، مجلة: إحياء التراث العربي الإسلامي (١٦: ١٩٨٤م).

[26] العمدة: ١٨/١.

فالهجاء ـ وهو من الأغراض التقليدية ـ يقومُ بطبيعتهِ على النَّيلِ مِن أَخلاق المَهجُوِّ ومروءتِه وعرضِهِ، وهذا نوعٌ من القذف حرَّمَهُ الإسلام، وعاقب عليه، لذا رأينا الزبرقان بن بدر يشكو الحطيئة إلى عمر بن الخطاب، لقولِهِ:

دَعِ المَكَـــارم لا تَرحَـــل لبغيتـــها واقعُـــدْ فَإِنَّـــكَ أَنـــتَ الطَّاعـــمُ الكاسِـــي[٢٧]

ولم يكن عمر يجهل موضع الهجاء في البيت، لكنه كره أَنْ يَتَعَرَّضَ لِشأنِهِ، فَبَعَثَ إِلى شاعر مثله هو حسان بن ثابت، فَأَقَرَّ أَنه هَجاهُ، فحبسه عمر، ثم أطلقه بعد أنِ استعطفَهُ ... في القصة المشهورة[٢٨] .

وموقف آخر مع النَّجاشي الحارثي في بني عجلان، حاول فيه توجيه هجاء الشاعر وجهةً تبعده أنْ يكون هجاءً، عاكسًا قِيَمَ الجاهلية التي قام عليها الشعر إلى قيم مادحةٍ بمفهوم الإسلام السَّمح.

وأبيات النجاشي[٢٩]:

اذا الله عـــادى أهـــل لـــؤم ورقـــة فعـــادى بنـــي العجـــلان رهـــط ابـــن مُقبِـــلِ
قُبَـيِّـلَـــةٌ لا يـغـــدرون بـــذِمَّـــةٍ ولا يظلـــمون النـــاس حبـــة خـــردلِ
ولا يـــردون المـــاءَ إلاَّ عـــشـيـة إذا صـــدر الـــورَّادُ عـــن كـــل منهـــلِ
تعـــافُ الكـــلاب الـــضاريات لحـــومهم وتأكـــل مـــن كعـــب وعـــوف ونهـــشل
ومـــا سُمِّـــيَ العـجـــلانُ إلاَّ لـقـولـــهِ خُـــذِ القعـــبَ واحـــلبْ أيُّـــها العبـــدُ واعـــجلِ

ثم بعث إلى حسَّان أيضًا فَأَقرَّ بالهجاء. وقد هدر عمر دمَ النجاشَيّ بقوله: إذا عدتَ قطعت لسانك، فحبسه، وقيل جلده[٣٠].

وعزلَ عُمر عاملَهُ على مَيسان لأبيات قالها تَرفيهًا عَن نفسِهِ[٣١] .

وجلد أبا محجن الثقفي، وكان شاعرًا مولعًا بالشراب، مستهترًا به، لقوله:

إذا مـــت فـــادفني إلـــى جنـــب كرمـــةٍ تـــروِّي عظـــامي بعـــد مـــوتي عروقـــها[٣٢]

وكتب إلى أبي موسى الأشعري: « مُرْ من قبلك بِتَعَلُّمِ الشِّعر، فَإِنَّهُ يدلُّ على معالي الأَخلاق، وصواب الرَّأي، ومعرفة الأنساب» [٣٣].

وظلت وفود العرب تختلف إلى المدينة، يؤمُّون أنديتها ومساجدها، وتحدَّثَ مرة مع وفد غطفان وقد نزل ببابه: يا معشر غطفان، أي شعرائكم الذي يقول:

حلفـــت فلـــم أتـــركْ لنفـــسك ريبـــة وليـــس وراء اللـــه للمـــرء مذهـــب

قالوا: النابغة ...، ثُمَّ قالَ : هذا أَشعر شعرائكم[٣٤].

وإذا كان حكمه النقدي هذا غير معلل[٣٥]، فإننا نرى أَنَّهُ ـ كما أوضحنا ـ ينطلقُ مِن كَون الشاعر لمْ يَـــدْعُ إلـــى فُحـــشٍ فـــي القـــول أو إلـــى عَـــدَاوَات وَأَحقـــاد، بـــل ينطلـــق بالحكمـــة و(الحقيقة) التي نادى بها الإسلام .

---

(27) ديوان الحطيئة: ١١٩.

(28) الأغاني: ٢/١٢٠-١٢١ ، العمدة: ١/١٧٦.

(29) ديوان النجاشي الحارثي: ٩٠.

(30) ينظر: اختيار من كتاب الممتع: ٣٨٠-٣٨١ ، الشعر والشعراء: ١/٣٣١.

(31) ينظر: الإسلام والشعر: ٩٦ -٩٧.

(32) ديوان أبي محجن الثقفي: ٨.

(33) الموشح: ٥٨.

(34) العقد الفريد: ٥/ ٢٧٠، الأغاني: ١١/ ١٧ ، وينظر: طبقات فحول الشعراء: ١/٥٦.

وَأنشدَ رَجلٌ عُمرَ قول طرفة[٣٦]:

ولــولا ثــلاث هُــنَّ مِــن عِيــشَةِ الفَتَــى وَجَــدِّكَ لــمْ أَحفــلْ متــى قــامَ عُــوَّدِي
فَــمِـنْـهــنَّ ســبــقي الـعــاذلات بــشربةٍ كُـمـيــتٍ مَتَــى مــا تُــعْلَ بالمــاء تـزبــدِ
وكــــري، إذا نــــادى المــــضاف، محنــــبًا كــــسِيْدِ الغــــضا، نبهتــــه، المتــــوردِ
وتقــــصير يــــوم الــــدَّجن والــــدجن معجــــب ببــــهكنة تحــــتَ الطِّــــرَافِ المُعمــــدِ

فقال عمر: « لولا أَنْ أَسيرَ في سبيل الله وأَضع جبهتي لله، وأُجالس أَقوامًا ينتقون أطايبَ الحديث، كما ينتقــون أطايــب التمــرة، لــم أبــالِ أنْ أكــونَ قــد مُــتُّ » [٣٧] ، فهــو هنــا قــد قابَــلَ الخِــصَالَ الجاهلية التي عناها طَرَفَةُ بِخِصَالٍ (إسلاميَّة) أَحَبَّهَا هُوَ.

ولقد كان إعجاب عمر بزهير بن أبي سلمى كبيرًا، فقد أعجب بقوله:

فَإِنَّ الحقَّ مَقطعُهُ ثلاثٌ : يمينٌ أو نِفَارٌ أو جلاءُ[٣٨]

وقال عنه: « إِنَّهُ لا يتبع حوشي الكلام ولا يعاظل في المنطق، ولا يقول الا ما يعرف، ولا يمدح الرجل إلاّ بما يكون فيه» [٣٩].

فهو يقرِّر أَنَّ شعرَ زُهير خال من الغريب المستهجن من الألفاظ، وأَنَّ شِعرَهُ مَقصُورٌ على (القول) و (المدح) الحقيقيين للممدوحين لا على التزييف والمدح الكاذب كما يفعل غيره، وأنْ يكون الكلام مفهومًا لا يتعثر به اللسان ولا يكون ثقيلاً على الأذن، وهو معيار بلاغي عام امتدَّ بعدَهُ .

وهذا ما دعا ابنَ رشيق (ت٤٥٦هـ) إلى أنْ يقول عنه: « كان مِنْ أَنْقَد أهل زمانه للشعر، وأنفذهم فيه معرفة» [٤٠]، فهو أول ناقد أقام حُكمًا في النقد على أصول متميزة[٤١].

وأعجبه مطلع قصيدة سحيم عبد بني الحسحاس[٤٢]:

عميرة ودع إنْ تجهزت غاديا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

وقال له: « لو قلتَ شِعرَكَ كلَّهُ مثل هذا لأعطيتك عليه» [٤٣].

ولكنه لمَّا استمر بقصيدته يشبب بنساء مولاه[٤٤]:

وبتنا وسادانا إلى علجانَةٍ وحقف تَهَادَاهُ الرِّياحُ تَهَادِيَا
تـوَسَّدني كَفًّا وتثني بمعصمٍ عليَّ ، وتحوي رجلها من ورائيا

رفض عمر ذلك ، وقال لهُ : ويلك! إِنَّكَ مُقتولٌ[٤٥].

---

(35) تاريخ النقد الأَدَبي عند العرب (عتيق): ٦٧.

(36) ديوان طرفة بن العبد: ٢٥.

(37) البيان والتبيين:٢ /١٩٥.

(38) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ١٣٨.

(39) العمدة: ١ / ١٨٩، وينظر: شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٥٧، كتابُ الصناعتين: ١٦٧ .

(40) العمدة: ١/ ٢٠.

(41) تاريخ النقد الأَدَبي عند العرب (طه احمد إبراهيم): ٣٥.

(42) ديوان سحيم عبد بني الحسحاس: ١٦

(43) البيان والتبيين: ١/٧١-٧٢ ، الأغاني: ٢٢/ ٢١٥ .

(44) ديوان سحيم عبد بني الحسحاس: ١٩ - ٢٠.

(45) الأغاني: ٢٢/٢١٥.

وفي زمن عثمان بن عفان استعارَ ضابئ بن الحارث البرجمي كلبًا مِن بَني نَهْشَل .. وقال فيهم :

فـــــأُمَّكُمُ لا تـتـركـــــوها وكلبكـــــم فَـــــإنَّ عُقُـــــوقَ الأُمَّـــــهَاتِ كَبِيـــــرُ

إذا عَثَّنَـــتْ مـــن آخـــر الليـــل دخـــنَةٌ يَظَـــلُّ لهـــا فَـــوقَ الفِـــرَاشِ هَرِيـــرُ

فقال عثمان: ويلك! ما سَمِعتُ أَحَدًا رَمَى امرأة من المسلمين بكلب غيرك .. وحبسه في السجن، وحاول ضابئ أنْ يغتاله وقد زارهُ في السِّجنِ ، وقالَ[٤٦] :

هممت، ولم أفعل، وكدت، وليتني تركتُ على عثمان تَبكي حَلَائِلُهْ

وهو من الأبيات السائرة المشهورة.

وهكذا نرى استمرار (خروج) الشعراء على الموقف الرسمي، الذي حاول الخلفاء في عصر صدر الإسلام أنْ يُثبتُوهُ في الشعراء.

وإذا انتقلنا إلى الإمام علي عليه السلام ألفيناه يقول عن الشعراء: « كُلُّ شُعرائكم مُحسِنٌ لو جَمَعَهُم زَمَانٌ وَاحِدٌ، وغَايةٌ واحدةٌ، ومذهبٌ واحدٌ في القول، لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك، وكلهم قد أصاب الذي أرادَ وأحسن فيه، وإن يكن أَحد أَفْضَلَهُمْ، فالذي لم يَقُلْ رغبةً ولا رهبةً امرؤُ القيس بن حجر، فَإِنَّهُ كانَ أَصَحَّهُم بادرة وأجودهم نادرة» [٤٧].

ولعلَّ قول الإمام عليه السلام هذا، كسر الطوق العصبية الفكرية والقبلية الضيقة، وان الشاعر المتقدم عنده هو مَنْ تَجَرَّدَ عن الهوى والخوف، وكان شعره وليد المشاعر الصادقة.

وهنا نرى تأثر الإمام عليه السلام بمقياس النبي صلى الله عليه وآله للشعر، وهو المقياس القائم على أساس موافقة (الحق) أو عدمه. والإمام عليه السلام ـ بهذا ـ أعطى لرأي الرسول صلى الله عليه وآله في امرئ القيس معنى آخر، وشرح مدلولَهُ[٤٨]. بل نراه يقول: « الشعر ميزان القول» [٤٩] ، وفي رواية : ... القوم.

واستحسن أبياتًا من الشعر تدعو الى الحكمة والقول الصائب، فقد سمع قول الأسود بن يعفر[٥٠].

فـــأرى النعـــيم وكـــل مـــا يلهـــى بـــه يـــوما يـــصير إلـــى بلـــى ونفَـــادِ

فقال: كم تركوا من جنات وعيون[٥١] .

وكان يعجب بقول أبي محجن الثقفي، عندما سئل عنه[٥٢] :

لا تـــسألي النـــاس عـــن مـــالي وكثـــرته وسائـــلي القـــوم عـــن دينـــي وعـــن خلقـــي

وقال عنه: الذي أحسن الوصف، وأحكم الرَّصف، وقال الحق.

وإذا نأتي على نهاية عصر الخلفاء، لا بد من الإشارة إلى وجود الروح الدينية التي نفذت قويةً إلى مضامين شعر الشعراء، من الذين واكبوا الفتوحات الإسلامية، وهي الروح التي نادى بها الإسلام ودعا إليها. وقد

---

[46] ينظر: طبقات فحول الشعراء: ١/١٧٣ـ١٧٤.

[47] العمدة: ١/٢٧ ـ ٢٨، وينظر: ١/٧٧.

[48] مقالات في تاريخ النقد العربي: ٤٦.

[49] العمدة: ١/٤.

[50] ديوان الأسود بن يعفر: ٩٢.

[51] الشعر والشعراء: ١/٢١١.

[52] ديوانه:١٥.

أصبح الشاعر لسان حال الجماعة (الأمة) . كما كان في الجاهلية لسان القبيلة . فهو . بهذا . اقرب ما يكون إلى الخطيب منه إلى الشاعر.

فالشعر أصبح في هذا العصر فاعليه علمية لا إبداعية، ولما كان الإسلام يدعو إلى أن يكون الشعر تعبيرًا أيدلوجيًا لا ابداعيًا، ولما كانت الرؤية الإسلامية واضحة وكاملة، فَإنَّ الشعر الذاتي الذي رأيناه عند النجاشي وسحيم والحطيئة وضابئ الرجميّ قد نظر الإسلام إليه على انه خروج على النواميس الدينية، لأنَّ أصحابه أرادوا أنْ يغيروا الواقع المثالي بأن يُعيدوا إنتاجَهُ ذاتيًا تخييليًا، ولما كان هذا أمرًا مرفوضًا ينافي الفكر الديني، كان العقاب هو النتيجة التي جابهها هؤلاء الشعراء.

العصر الأُموي

انقسم المسلمون فيما بينهم أحزابًا وشيعًا حتى ظفر بنو أمية بالملك، واتخذوا الشام قاعدة لملكهم، يتوارثونها، في الوقت الذي استمرت الأموال تتدفق من الشام على الحجاز لإسكات (المعارضة) ولإشغال الناس عن الثورات ضد السلطة الحاكمة.

أما الحجاز فقد أصبحت مركزًا دينيًا ليس لعرب الجزيرة فقط، بل للأجيال العربية التي ولدتْ في البلدان المفتوحة، إذ كان من ثمار الفتوحات الإسلامية التي تطورت في هذا العصر أنْ ازدادت البيئات المدنية ونشطت، بفعل اختلاط العرب بالأعاجم والأمم الذين دخلوا الإسلام(٥٣).

ولقد تميزت الحجاز والشام في هذا العصر بضروب من اللهو لم تعن بها البيئات الأخرى، فقد تكونت في الحجاز « تحت تأثير الترف وفراغ كثير من الشباب للهو نظريةٌ غنائيةٌ شارك فيها العرب والموالي، ولم تلبث أنِ انتقلت إلى الشام. إذْ كان هناك اتصال دائم بين مُغَنِّي الحجاز وبلاط الشام» (٥٤).

وعلى النقيض من ذلك اندفَعَ كثيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ إِلى نبذ الدنيا والزهد فيها، ولعل (العراق) هو أهم بلدٍ انتشرت فيه موجة الزهد والمجاهدات والرياضيات للنفس، وَعُرِفَ جُمهورهم بـ(القراء) في البصرة والكوفة ـ وان لم تخل الحجاز منهم ـ وكان لهم دورٌ في إرشاد الناس وتوجيههم نحو الأَخلاق والدين.

في ظل هذه الظروف المتناقضة عاش الشعر، وهو يحمل في مضامينه آراء الفريقين، ولما كان الشعر تعبيرًا عن النفس، وهو يتأثر بكل ما في النفس من ظروف مادية او روحية معنوية، رأينا الشعراء وهم ينظمون القصائد، وكل واحد منهم يعبر عن الرأي والفكرة التي يؤمن بها ويدعو اليها .

ويبدو من النصوص التي حفظتْها لنا المظان الموثقة أنَّ بعض الفقَهاء كانوا يميلون الى الشعر الذاتي، ولا يرون حرجًا من إنشاده، فالإمام ابن عباس حضَرَ مجلسَهُ نافعُ بنُ الأزرق الخارجي، وطلب من عمر بن أبي ربيعة أنْ ينشده، فأَنشده قصيدته التي مطلعها(٥٥):

أ مِنْ آل نُعم أنت غاد فمبكر غداة غد ام رائحٍ فمهجرُ ؟

فَأَغضبَ ذلك نَافعًا، وقال له: يا ابنَ عباس، إنَّا نَضربُ إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد ، نسألك عن الحلال والحرام، فتتثاقل علينا، ويأتيك غلام مترف من مترفي قريش، فينشدك:

رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمس عارضَتْ فيخزَى ، وأَما بالعَشِيِّ فَيَخسَرُ(٥٦)

فقال ابن عباس : ليس هكذا قال ، قال : فكيفَ ؟ ، قال ابنُ عبَّاس : قال:

---

(53) ينظر: العصر الإسلامي: ١٦٩ ـ ١٧٦.

(54) التطور والتجديد في الشعر الأُموي: ١٠١.

(55) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٥١١.

(56) ديوانه: ١٢٤.

رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمس عارضَتْ فَيَضحَى ، وأَمَّا بالعَشِيِّ فيخصرُ

فقال نافع: ما أراكَ إلَّا وقد حَفِظتَ البَيتَ ، قال: أجل، وإنْ شِئتَ أنْ أُنشِدَكَ القصيدَةَ أَنشَدتُكَ إيَّاها، قال: إنِّي أَشَاءُ ، فَأَنشدَهُ القصيدَةَ حتَّى أَتَى على آخرها» [٥٧].

في هذا النص يتبيَّن أنَّ ابنَ عباس كان فَقيهًا مِنَ المدرسة الفقهية الحجازية الذي أباح لعمر بن أبي ربيعة أنْ ينشدَ قصيدتهُ الغزلية تلك، وابن عباس كان قد تتلمذ على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مدَّة طويلة،جَعَلَته يفهمُ الشِّعرَ كَمَا فَهِمَهُ الإمام عليه السلام ، وَيَقِفُ مِثلَ مَوقفه فيهِ .

ولما سمع طلحة بن عبد الله الزهري هذه القصيدة طلب أنْ تُكتب له[٥٨] .

لكننا نجابه بالموقف الرافض لها، فهذا سعيد بن المسيب لما أنشَدَ قَول عُمر بن أبي ربيعة[٥٩] :

وَغَـــابَ قُميـــرٌ كنـــتُ أرجـــو غيـــوبَهُ ورَوَّحَ رُعيَـــانٌ ونَـــوَّمَ سُـــمَّرُ

قـــال: مـــا لَـــهُ قاتلـــه الله، لقـــد صـــغَّرَ مـــا عظَّمَـــهُ الله . يقـــول عـــز وجـــلَّ : ﴿ **وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** ﴾[٦٠] .

فهو لم يقف متضامنًا مع هذا الشعر الآتي، بل وقف منه موقف المعارض له، وهو الموقف (الرسمي) للخلفاء الأمويين حين يردون إلى الحجاز، « ليطمئنوا الناس وليؤكدوا حبهم للأخلاق والفضيلة أمام الناس» [٦١] .

فعبد الملك بن مروان لما حَجَّ لقِيَهُ عُمر بالمدينة، فقال لهُ عبدُ الملك: لا حيَّاكَ الله يا فاسق ، فقال عمر: بئسَتْ تحيَّة ابن العم لابن عمه على طول الخط. فقال له: يا فاسق، ذاك لأنك أطولُ قريشٍ صَبوَة وأبطؤها توبة، الست القائل[٦٢].

ولـــــولا أنْ تعنفنـــــي قريـــــش مقـــــال الناصـــــح الأدنـــــى الـــــشفيقِ

لـــــقلت إذا التقيـــــنا قَبَّلِنِـــــي ولـــــو كـــــنَّا عـــــل ظهـــــرِ الطريـــــقِ

وهناك حادثة له مع سليمان بن عبد الملك أخرجه بعدها الى الطائف[٦٣] ، وسليمان نفسه أمر بِنفي الأَحوص إلى (دهلك) في اليمن لتشبيبِه بنساء المدينة.

أما شعراء النقائض كالفرزدق وجرير والأخطل وإن سومحوا في هذا الهجاء الذاتي بينهم إلاَّ ان الإكثار منه جعل السلطة تتعقب قائليه، ولهذا رأينا الفرزدق يُنفَى من المدينة في عهد عمر بن عبد العزيز، الذي لم يتقرب إليه الشعراء، إلاَّ من ضمنوا شعرهم قيمًا إسلامية أخلاقيَّة، وكان ذلك لما حاولوا الدخول عليه، فلم يقبل جميلًا ولا كثيرًا ولا الفرزدق ولا الأخطل[٦٤] .

لمَّا كان (الخليفة) هو مصدرُ السلطات الدينية والسياسية والمالية وغيرها، لذا فإنَّ المواصفات النموذجية التي كان الشعراء يمدحون بها زعماء الجاهلية لم تكن كافية لمدح الخليفة أو ولاته، لذا رأينا إنَّ عبد الملك لم يعجبه مدح عبيد الله بن قيس الرقيات له في قوله:

---

[57] الأغاني: ٦٨/١.

[58] المصدر نفسه: ٧٣/١.

[59] شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٩٦ .

[60] سورة يس: {٣٩}.

[61] النقد العربي القديم من الاستقراء والتأليف: ٥٣.

[62] ديوانه: ٦٠ .

[63] الموشح: ١٨٩ - ١٩٠.

[64] ينظر: العقد الفريد: ٩٦/٢.

يـــــعتدل التـــــاج فـــــوق مفـــــرقه علـــــى جبـــــين كأنـــــه الذَّهـــــب

إذ قال له: يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأني من ملوك العجم، وتقول في مصعب[٦٥] :

إنمـــا مـــصعبٌ شـــهابٌ مـــن اللـــ ـهِ تَجَلَّـــتْ عـــنْ وَجهِـــهِ الظَّلْـــمَاءُ

فعبد الملك نقد الصورة التي رسمها الشاعر له، وهذا النقد ما كان إلاَّ لأَنَّ الشاعرَ مدحَ مُصعبًا بالفضائل المعنوية، في حين مدح الخليفة بالفضائل الماديَّةِ التي رآها لا توازي مكانته، فَمَدحُ مُصعَبٍ « أروع وقعًا وأعلى نفسًا وأمسّ بالنور العلوي الذي يحرص الخلفاء على أنْ يمثلوه في الأرض» [٦٦] .

ومِمَّا يُؤَيِّدُ ذلك قول عبد الملك : يا معشرَ الشُّعَرَاءِ تشبهوننا مرة بالأسد الأَبخر ومرة بالجمل الأَوعر، ومرَّة بالبحر الأجاج، ألا قُلتم فينا كما قال أيمن بن خُرَيم في بني هاشم:

نهـــــارَكُمُ مُكابـــــدَةٌ وصَـــــومٌ وَلَيـــــلُكُمُ صَـــــلَاةٌ واقـــــتِرَاءُ[٦٧]

ولن نعدم في هذا العصر وجود الشعر الذاتي، فهذا الأخطل (ت٩٠هـ) يقول: « إن العالم بالشعر لا يبالي.. إذا مر به البيت المعاير السائر الجيد ، أَ مُسلمٌ قالهُ أَم نَصرانِيٌّ» [٦٨] وكان عمر بن عبد العزيز قد فضل الأخطل على جرير عندما كانَ أميرًا، قبل توليه الخلافة، على الرغم من علمه أَنَّهُ لم يكنْ مُسلِمًا[٦٩] .

كذلك ظهور الوليد بن يزيد وشعره المغرق في الخمر وَتَغَنِّيهِ بها، وهو بابٌ لم يَتَطَرَّقْ إليهِ شُعَرَاءُ الحجازِ كثيرًا، وإذا كان الوليد في غزله أرستقراطيًا ، وقد نُقِدَ كثيرًا من ناحية دينه وتهتكه وخلاعته ، فَإِنَّهُ « لم يُنقَدْ كثيرًا من ناحيةِ أَدَبِهِ» [٧٠].

إنَّ الشعر الذاتي المتمثل عند عمر بن أبي ربيعة والأحوص والعرجي والوليد بن يزيد والأخطل « ورغم صدوره عن الميل الغريزي للذَّة، إلَّا انَّهُ اكتسب تَنَوُّعه وسماته المميزة من خصائص البنية الاقتصادية ـ الاجتماعية لطبقة النظام السياسي القائم ، ... إِنَّ كُلًّا مِن شعر الشهوة والحب إنما هو في أصلهِ تعبيرٌ عن رغبةٍ جماليَّةٍ ذاتيَّةٍ في الانعتاق من حالة الكبتِ والقمع الجسدي والنفسي والفكري، وفيه يكمن النزوع الى التَّمَرُّدِ على مواصفات الواقع الأَخلاقي القائم» [٧١] والانطلاق نحو الذات (الداخل).

العصر العباسي

بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ شهد المجتمع الإسلامي تَغَيُّرًا في مختلف مناحي الحياة، السياسية والاجتماعية والفكرية، ولقد كان (الانفتاح) على الحضارة كبيرًا جدًّا، إذْ كانت التقاليد المدنية تنمو وتتطوَّر، وتزدهر معارفها وثقافتها حتى لم يعد الشعر وليد الطبع البدوي الفصيح، بل اخذ ينبع من قريحة مدنية، فظهر(الشعراء المحدثون) المتأثرون بالحضارة الجديدة.

---

[65] ديوانه: ٩١.

[66] تاريخ النقد الأَدَبي عند العرب: (د. إحسان عباس): ١٢٨.

[67] ديوان أيمن بن خريم: ٢٣ .

[68] الأغاني: ٢٠٧/٨.

[69] المصدر نفسه: ٢١٩/٨.

[70] المصدر نفسه: ٣٠٦/٨. وقد ظنت د. هند حسين طه (النظرية النقدية عند العرب:٧٧) ان ذلك كان عندما تولَّى الخلافة!

[71] النقد الأَدَبي: ٤٦٨/٢.

وفي هذا العصر برز شعراء المجون والزندقة كحماد عجرد ومطيع بن إياس وصالح بن عبد القدوس. وفي الوقت نفسه برز اتجاه مغاير تمامًا تمثل في شعراء الزهد كعبدِ الله بن المبارك ، ومحمد بن كناسة، ومحمود الوراق[٧٢].

لقد قام الحوار والتناظر الشعري في العصر العباسي حول الخلافة على أسس ومنطلقات دينية إسلامية، « وكانت معاني شعر الجهاد وشعر الأَخلاق وشعر الزهد والتصوف مستمدة من رصيد الشعر الإسلامي» [٧٣]، لذا رأينا بشارًا يمدح المهدي لأنه فتى الدين، وفتى قريش دينًا وكرمًا، وأنه يصدق في دينه وموعده[٧٤]. ورأينا مسلم بن الوليد[٧٥] ومروان بن أبي حفصة[٧٦] يسيران على النهج نفسه وكذلك الأمر عند شعراء الصوفية، فقد أَمدَّ الشِّعرُ الدِّينيُّ الشِّعرَ الصوفي بالأَخلاق، إِذْ تمسك زهاد هذا العصر بالآداب التي قررها الإسلام، كما أكثروا من الحديث عن زوال الدنيا وباطلها، والأمر واضح عند أبي العتاهية...

أما حالات الشعر الذاتي ـ الداخلي فلم يكن حالُهُ أحسن مما سبقه، فهذا أبو الهذيل العلاف يبغض العباس بن الأحنف لقوله[٧٧]:

فَأَكـــثروا وأَقِلُّـــوا مِـــن إِسَاءَتِـــكُمْ فَكُـــلٌّ ذلـــكَ مَحمـــولٌ علـــى القَـــدَرِ

ويرى أَنه كانَ « يعتقد الكذب والفجور في شعره» [٧٨].

ونال بشار بن برد ما ناله سابقوه، إِذْ هَاجَمَهُ المعتزلةُ كواصل بن عطاء في البصرة، وقال: « أَ مَا لهذا الأعمَى المُلحد المشنف المكنى بِأبي معاذ مَن يَقتله» [٧٩] حتى أُخرج من البصرة، ثُمَّ قَتَلَهُ المهديُّ في سفينةٍ ، ورُمِيَ بِجُثَّتِه في النَّهْرِ.

ولقد عاب الفقهاءُ على أبي نواس خلاعته في شعره .. ثم قوله:

مـــــــــن رســـــــــــول الله مـــــــــــن نفـــــــــره

وقال أبو علي الضرير: « إنه كلامٌ رديءٌ مستهجنٌ، موضوعٌ في غير موضعه، وَإِنَّهُ مِمَّا يُعابُ به، لأنه من حق رسول الله أن يضاف وأَلَّا يُضَاف إِلى أَحدٍ» [٨٠].

وسمع احمد بن أبي دُاود قول أبي نُوَاس :

قُم سيِّدي نَعْصِ رَبَّ السَّماوَاتِ

ففزِعَ له، وجعلَ يقول : لعنه الله ، لعنه الله » [٨١] .

---

[72] ينظر: العصر العباسي الأول: ٣٨٢ ـ ٤١٣.

[73] التيار الإسلامي: ٨٠٩.

[74] ديوان: ١/٢،١٥٩، ٧/ ٢٧٨.

[75] ديوانه: ٢١٧.

[76] شعره: ٦٦.

[77] ديوان العباس بن الأحنف: ١١٨.

[78] الموشح: ٤٤٩.

[79] البيان والتبيين: ١/١٦.

[80] المصدر نفسه: ١/١٦.

[81] الموشح: ٤٢٦ـ ٤٢٧.

ولا نريد أنْ نأتي بأمثلة جديدة، ولكننا نؤكد ان المعتزلة وأهل الكلام لم يكونوا بعيدين عن جوهر القضية، ولعل الخلفاء وأهل الأمر كانوا يتزلَّفُون إليهم، كي يحكموا أمرهم عند عامة الناس. متناسين أنَّ الشعر روح تريد الانطلاق والتوثب لا القيد والسجن .

ولقد شُغِلَ العصر العباسي بشعراء دارت الآراء حولهم بين موافق لهم أو معارض، لعلَّ المتنبي وأبا نواس وعبد الله بن الحجاج من أشهرهم.

وفي الوقت الذي كان يلقى الشعراءُ القبول عند الخلفاء والأمراء وعامة الناس، نرى الخلفاء أنفسهم يعاقبون الشعراء متى حلا الأمر لهم، مما يؤكد أنَّ الادعاء بأنهم يمثلون السلطة الدينية لم يكن دقيقًا.

ولأهمية أنْ نكملَ موضوعنا هذا رأينا أنْ نصلَهُ بِمَوْقِفِ المُؤلفين النقَّاد من القضيَّة ومن الشعراء (الخارجين) على الأَخلاق والدين في عصر التأليف والبحث.

موقف النُّقَّادِ من قضية (الشعر والأَخلاق)

أَدلى المصنفون بآرائهم في قضية الشعر والأَخلاق، وعرضوا لذلك أثناء إيراد ترجمة شاعر ما، أو عند طرحهم لقضايا فكرية ونقدية معينة.

ولقد اقتضى الأمر منا الوقوف على هذه الآراء في المؤلفات نفسها، وحاولنا أنْ ننقلها من واضعها، بعد بحث دقيق تطلب جهودًا ووقتًا.

ولسهولة الأمر، أوردنا ذلك على وفق سني وفيات المؤلفين:

. الأَصمعِيّ (عبد الملك بن قريب، ت٢١٦هـ)

بلغ من حرص الأَصمعِيّ على (الدين) انه كان لا يُفَسّرُ شعرًا يوافق معناه القرآن الكريم[٨٢]، وعَدَّ السلوك الأَخلاقي وموقفه أمام الناس من أسباب تفضيل شاعر على آخر ، فقد رفض شعر المزرد، وقال : « ليس بدون الشماخ، ولكنه أَفسَدَ شِعره بما يهجو به الناس» [٨٣]، ولكنَّهُ اتَّخذَ (المذهبَ) خطًّا أحمرَ في التقضيل ، فقد قال عن السيد الحميري: « قَبَّحَهُ اللهُ! ما أسلكه لطريق الفحول، لولا مذهبُهُ، ولولا ما في شعره ما قدمتُ عليهِ أَحدًا من طبقته» [٨٤] ، وهي نظرةٌ ليستْ دقيقة أو علميَّة في النَّقد.

واشتهر عنه قوله: « طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ، ألاَ ترى أنَّ حسان بن ثابت كان فحلًا في الجاهلية والإسلام فلَما دَخَلَ شعره في باب الخير لان، وطريق الشعر هو طريق الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة من صفاتِ الدِّيَار والرَّحيل والهجاء والمدح والتشبيب، وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لان» [٨٥].

إنَّ هذَا (اللِّينَ) الذِي كَرِهَهُ الأَصمعِيّ[٨٦] يقومُ أَسَاسًا على مدى تَحَرُّرِ الشاعر من الالتزام بموقف خلقي خاص، بغِضِّ النظر عن تفاصيل هذا الموقف، وإنَّ الالتزامَ بموقفٍ أخلاقِيٍّ أو فكري التزامًا عنيفًا يحجبه عن ارتياد الآفاق التي حدد الفحول معالمها خلال جهدهم الإبداعي. فالأَصمعِيّ يرى أنَّ النماذج الجاهلية لم تخضع لقيود التشريع التي كبحت جماح الشعراء بعد الإسلام، فأصلحت لهم آخرتهم وأفسدت لهم أشعارهم» [٨٧] ، وإنْ

---

[82] الكامل في اللغة والأَدَب: ٣٦/٣.

[83] فحولة الشعراء: ١٨.

[84] الأغاني: ١٧٩/٧.

[85] الموشح: ١٠٠، أمالي المرتضى: ٢٦٩/١، الشعر والشعراء: ٣٠٥/١.

[86] يرى: د. إحسان عباس (تاريخ النقد الأَدَبي عند العرب:٥١) ان هذه الرواية غير دقيقة، وانما ترجمة متأخرة بعض الشيء لمفهوم قول الأَصمعِيّ .

[87] دراسات نقدية في الأَدَب العربي: ٣٤٤.

كان هذا الرَّأيُ يصدقُ على بعضِ شِعرِ المُخضرَمِين الذين نظموه فعلاً وهُم تَحتَ الأثر الإسلامي الجديد حيث بدؤوا يحاولون محاكاة الأَخلاق الإسلامية الجديدة .

والأَصمعِيّ كانَ قَد فَضَّلَ الأَخطَلَ ، وقال للسجستاني :« من قال لك إنَّ في الدنيا أحدًا قال مثلها قبله وبعده فلا تصدقه» [٨٨] ، وهو رأيٌ يؤكِّد فصله بين الشعر والأَخلاق، كونَ الشعر يخرج على كل القوانين التي تحاول أَنْ تحدَّ منه.

. الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر، ت٢٥٥هـ)

هو المنظر الأول للثقافة العربية من حيث هي لغة بالدرجة الأولى، ومن حيث هي دين، وقد اكتسب الكثير من المعارف والفنون وأودعها في كتبه ورسائله، ونظرة واحدة إلى كتابه: الحيوان أو البيان والتبيين ترينا اهتمامه بالشعر على أَنَّهُ شعر، فهو قد نظر نظرة واحدة إلى النص ذي المضمون الأَخلاقي والنص ذي المضمون الصريح[٨٩].

ورأى أَنَّ « أبيات أبي نواس على أنَّه مولدٌ شاطرٌ أشعر من شعر مهلهل في أطراف الناس في مجلس كليب» [٩٠] ، وكأَنَّهُ بذلكَ لا يُوافق الفقهَاءَ الذين رفضوا بعض أشعار أبي نواس التي خرجت عن جادة الشعر الرسمي . الأَخلاقي.

ولما أُعجب أبو عمرو الشيباني بقول الشاعر:

لا تحسبن الموتَ موت البلَى فإنمَّا الموت سؤال الرِّجَال

كلاهما موت ولكن ذا أَشد من ذاك لِذِلِّ السُّؤال

رأى أنَّ قائل هذين البيتين ليس شاعرًا « لولا أَنْ أَدخَلَ في شعره بعضَ الفتك» [٩١].

فالجاحظ يشير إلى أنَّ الشعر ابن البداوة، وأَنَّ النزعات الأخلاقيَّة تفسد الشعر، ولاحظ أَنَّ الشِّعرَ الحَقَّ ما كان يصدر عن معاناة شخصية لا على مواضعاتٍ خارجيَّةٍ.

. ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم، ت ٢٧٦هـ)

عندما نصل إلى ابن قتيبة نرى موقف قاض تولى القضاء في (دينور)، فهو موقف أخلاقي كحال سابقيه من الفقهاء، لذا لا نعجب أنْ حَدَّدَ أركانَ الشِّعرِ الأربعة، وأعجب بقول أبي ذُؤيب الهذليّ[٩٢]:

والنفسُ راغبةٌ إذا رَغَّبتَهَا وَإِذَا تُرَدُّ إلى قَلِيلٍ تَقنَعُ

ونقل عن الأَصمعِيّ قوله: « هذا أبدع بيت قالته العرب» [٩٣]!، وهو كلام ينطلق من نظرة ضيقة فمادة الشعر « ليست المعاني الأخلاقيَّة، كما أنها ليست الأفكار، وأَنَّ من الجودة ما يمكن أنْ يكون مجرد تصوير ... » [٩٤].

ونظرا لتفكيره هذا فإنَّهُ أَخرج أبياتًا جميلة وأَدخلها ضمن «الضرب الذِي حسن لفظه وحلا فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى»، فهو لم يعجبه قول المعلوط السعدي[٩٥]:

---

[88] فحولة الشعراء: ٤١.

[89] ينظر: الحيوان:٣ /٤٠-٤١.

[90] المصدر نفسه: ١٢٨/٣.

[91] المصدر نفسه: ٣/ ١٣١.

[92] ديوان الهذليين: ٣/١.

[93] الشعر والشعراء: ٦٥/١.

[94] النقد المنهجي عند العرب: ٣٣.

[95] الشعر والشعراء: ٦٥/١.

إنَّ الذيـــن غـــدوا بلبـــك غـــادروا وشـــلا بعـــينك مـــا يـــزال معينَـــا
غيـــضن مـــن عبـــراتهن وقلـــن لـــي مَـــاذا لقـــيت مـــن الهـــوى ولقينَـــا

وقول جرير[٩٦]:

يـــا أُخـــت ناحيـــة الـــسلام علـــيكم قـــبل الرحيـــل وقبـــل لـــوم العُـــذَّلِ
لـــو كنـــتُ أعـــلمُ أَنَّ آخِـــرَ عَهدكـــم يـــوم الرحيـــل فَعَلـــت مـــا لـــم أفعـــلِ!

وعاب على امرئ القيس تصريحه بالدبيب إلى حُرَمِ الناس والزنا بقوله: « والشعراء تتوقى ذلك في الشعر وان فعلته» [٩٧].

فهو ذو مذهب أخلاقي كسائر الفقهاء والمتكلمين. يدعو إلى أنْ يكون المعنى الذي يذهب إليه الشعراء قريبا من الواقع لا تخييل او إبداع فيه .

. ابن المعتز (عبد الله بن المعتز ، ت ٢٩٦هـ).

كان ابن الانباري (ت ٣٢٨هـ) قد كتب الى ابن المعتز في شأن أبي نواس مبغضًا من شانه، وقال: « فكان حَقُّ شعر هذا الخليع أَلَّا يتلقاه الناس بألسنتهم، ولا يدونونه في كتبهم. ولا يحمله متقدمهم الى متَأَخّرهم، لأَنَّ ذوي الأقدار والأسنان يتحلون على روايته، والأحداث ــ يُغشّون بحفظه ... والحسن بن هانئ ومَنْ سَلَكَ سَبيلَهُ فـــــــــــي الـــــــــــشعر الـــــــــــذي ذكرنـــــــــــاهُ

شطار كشفوا للناس عوارهم وهتكوا عندهم أسرارهم، وأبدوا لهم مساويهم ... » [٩٨].

إنَّ نظرة ابن الانباري هي نظرة أخلاقيَّة[٩٩]، رَدَّ عليها ابنُ المعتز بنظرة مغايرة تحمل روح الشعر، يقول فيها: « لم يؤسس الشعر بانيه على أنْ يكونَ المبرز في ميدانه مَنِ اقتَصَرَ على الصدق ولم يغو بصبوَةٍ ولم يرخص بهفوة، ولم ينطق بكذبة، ولم يغرق في ذَمٍّ ، ولم يتجاوز في مدح، ولم يزوّر في الباطل ويكسبه معارض الحق، ولو سلك بالشعر هذا المسلك لكان صاحب لوائه من المتقدمين: أمية بن أبي الصلت الثقفي وعدي بن زيد العبادي، إذْ كانا أكثر تذكيرًا وتحذيرًا ومواعظ في إشعارها من امرئ القيس والنابغة.. وهل يتَناشد الناس أشعار امرئ القيس والأعشى والفرزدق وعمر بن أبي ربيعة وبشار وأبي نواس على تعهِيرهم .... إلاَّ على ملأ من الناس وفي خلق المساجد؟. وهل يروي ذلك إلَّا العلماء الموثوق بصدقهم؟ ،وما نهى النبي ﷺ ولا السلف الصالح من الخلفاء المهدين بعده عن إنشاد شعر عاهر ولا فاجر» [١٠٠] .

إنَّ نظرَةَ ابن المعتز المتحررة هذهِ تؤكِّدُ أنَّ الشعراء الجاهليين لم يُفَضَّلوا على أساس ديني أو أخلاقي، وإلَّا لَمَا رَوَى علماءُ المسلمين أَشعَارَهُم، على ما فيها من صور تقف متنافية مع الدين والأَخلاق.

وأكدَ ابن المعتز هذه النظرة حينما روى قصائد لهؤلاء الشعراء . وممن في عصره . في كتبه : (طبقات الشعراء) و (البديع) و (فصول التماثيل) [١٠١] مع ما في مضامينها من الغزل الماجن والخمرة.

---

[96] ديوان جرير: ٩٣٩-٩٤٠.

[97] الشعر والشعراء: ١٣٦/١.

[98] قضايا النقد الأَدَبي: ١١٨.

[99] قضايا النقد الأَدَبي: ١١٨.

[100] جمع الجواهر: ٤٠ -٤١.

[101] حققه مكي السيد جاسم وابنه محمد، بغداد ١٩٨٩ في طبعة رديئة جدا، نشرنا ملاحظات عليها. ثم نشره د. جورج قنازع ود. فهد ابو خضرة بدمشق ١٩٨٩م، ولنا على هذه النشرة ملاحظات نُشرتْ في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

. ابن طباطبا (محمد بن أحمد، ت ٣٢٢هـ)

قدم ابن طباطبا في (عيار الشعر) موقفًا ناضجًا مستمَدًّا من ملاحظة الأثر النفسي الذي يحدثه خروج (الأنموذج) على حدود الأَخلاق والعقيدة في وعي المتلقي، فيقول: « والنفس تسكن إلى كل ما وافق هواها، وتطلق مما يخالفه ولها أحوال تتصرف بها، فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزَّتْ له وحدثت لها أَريحِيَّة وطرب، فإذا ورد عليها ما يخالفها قلقتْ واستوحشَتْ » [١٠٢].

. الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى، ت ٣٣٥هـ).

نظر الصوليُّ نظرة فنية إلى الشعر عندما تطرق إلى عيب النقاد إلى بعض قصائد ابي تمام فقال: « وقد ادَّعَى قومٌ عليه الكفر بل حقَّقُوهُ، أو جعلوا ذلك سببًا للطعن على شعره، وتقبيح حسنه، وما ظننتُ أَنَّ كُفرًا ينقصُ مِن شعر ، ولا إِيمانًا يزيدُ فيه»[١٠٣]، وبعد أَنْ حاول أن ينفي عنه هذه التهمة ، قال: « فكيف يصحُّ الكفر عندَ هؤلاء على رجل شعره كله يشهد بِضِدِّ ما اتَّهَمُوهُ به؟ » [١٠٤] .

ثُـمَّ أَوضَـحَ أَنَّ هنالـكَ شـعراء ثبـت الكفـر علـيهم وقُتلـوا ولـم تـنقصْ رُتبـتُهُم عنـدَ النَّـاسِ : « ولو كان على حال الديانة لأَغْرَوا من الشعراء بِلَعْنِ من هو صحيح الكفر، وأوضح الأمر ممَّن قتله الخلفاء . صلوات الله عليهم . بإقرار وبينة، وما نقصَتْ بذلك رُتَبُ أشعارهم ولا ذهبت جودتها، وانما نقصوا هم في أنفسهم وشقوا بكفرهم» [١٠٥].

لذا فَإِنَّ الصولي بنظرته إلى فصل الدين عن الأَخلاق لم يكن أوَّل من قام بهذا الفصل، على ما رأى د. إحسان عباس[١٠٦] وصبحي ناصر حسين[١٠٧].

على أَنَّ الصُّوليَّ نفسه بدَا غير مقتنع بهذا (التسامح) فقال: « على أنه ما ينبغي لجاد ولا مازح أن يلفظ بلسانه، ولا يعتقد بقلبه ما يغضب الله عزّ وجل» [١٠٨].

. قدامة بن جعفر ت ٣٣٧هـ

اذا انتقلنا الى رجل تثقف بالثقافة اليونانية (الدَّخيلة) وألفّ في ذلك كتبًا كثيرة، أشهرها (نقد الشعر)، رأيناه يقول: « إنّ المعاني كلها معرضة للشاعر، وله أَنْ يتكلم منها فِيمَا أَحَبَّ وآثر مِن غير أَنْ يحظر عليه معنًى يرومُ الكلام فيه، إذ كانت المعاني بمنزلة المادة الموضوعة ، .... ، وعلى الشاعر إِذَا شرع في أي معنى كان، من الرفعة والضعة والرفث والنزاهة والبذخ والقناعة والمدح والعضيهة ... أَنْ يَتَوَخَّى البلوغ من التجويد في ذلك الى الغاية المطلوبة» [١٠٩].

وقال: « إِنِّي رأيتُ مَن يعيب امرأ القيس في قولهِ[١١٠]:

فمثلـــك حبلـــى قـــد طرقـــتُ ومـــرضع فَأَلهَيتهـــا عـــن ذي تَمَـــائِمِ محـــولِ

إذا مـــا بكـــى مـــن خلفهـــا انـــصَرَفَتْ لـــهُ بِـــشِقٍّ ، وتحتـــي شـــقّها لـــمْ يُحَـــوَّلِ

---

[102] عيار الشعر: ١٥.

[103] اخبار ابي تمام: ١٧٢ -١٧٣.

[104] المصدر نفسه: ١٧٢ -١٧٣.

[105] المصدر نفسه: ١٧٢ -١٧٣.

[106] تاريخ النقد الأَدَبي عند العرب: ١٥١.

[107] أبو بكر الصولي ناقدًا: ٨٥.

[108] أخبار ابو تمام: ١٧٢ -١٧٣.

[109] نقد الشعر: ٢٠.

[110] ديوان امرئ القيس: ١٢.

ويُذكَرُ أنَّ هذا معنًى فاحش، وليس فحاشة المعنى في نفسِهِ مِمَّا يزيلُ جَودَةَ الشِّعرِ فيهِ ، كما لا يعيب جودة النجار في الخشب . مَثَلًا . رَدَاءته في ذاتِهِ» [١١١].

وأكَّدَ أَنَّ « وَصفَ الشَّاعر هو الذي يُستجاد لا اعتقاده، إذْ كان الشعر إنَّما هُو قَولٌ، وإذا أَجادَ فيه القائل لم يُطَالَب بالاعتقاد» [١١٢].

إنَّ قُدامَةَ فِي هذهِ النُّصُوصِ يَفصِلُ بينَ المعنَى الفاحِشِ وجَودَةِ الشِّعرِ فِي أَصلِهِ ، ويَرَى أنَّ الشاعر لا يُطلَبُ منه الصِّدق الواقعي، بل الصدق الفني في التعبير[١١٣].

وتحدَّث قدامةُ عن الفضائل النفسية: العقل ، والشجاعة ، والعدل ، والعفَّة ، ورأى أَنَّ عَتبَ عبد الملك بن مروان على بيت عبد الله بن قيس الرقيات هو: « من أجل أنَّ هذا المادح عَدلَ به عن الفضائل النفسية التي هي العقل والعِفَّة والعدل والشجاعة وما جانس ذلك، ودخل في جملته الى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة ... وإنَّ ذلك غلط وعَيب» [١١٤] ، وهذا الرأيُ نابعٌ « من مفهوم للفضائل يقيم أساسًا متماسكًا للمعنى الشعري» [١١٥].

. أبو الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين، ت ٣٦٠ هـ)

رَوَى الأَصفَهَانيُّ نُصُوصًا لعددٍ من الشعراء الذين خَرَجُوا على النُّظُمِ السَّائِدَةِ، فَحِينَ رَوَى بعضًا من شعرِ الأَحوص قال: « وليس ما جرى من ذكر الأحوص إرادة للغضِّ منه في شعره، ولكننا ذَكَرنَا مِن كل ما يُؤْثَرُ عنهُ ما تُعرَفُ بهِ حالُهُ من تقدُّم وتَأَخُّرٍ وفضيلة ونقص ؛ فأمَّا تفضيله وتقدُّمه في الشعر فَمُتَعَالمٌ مَشهُورٌ، وشعره ينبئُ عن نفسه ، ويدلُّ على فضلِهِ فيهِ وتقدُّمه وحُسْن رونقه وتَهَذُّبِهِ وصَفَائِهِ» [١١٦] .

بل إِنَّهُ أَثبتَ في كتابِهِ (الأغاني) أسماء المغنين والمخنثين وشعرهم الماجن من دون حذف أو تحوير، وهذا يعني أَنَّهُ فَصَلَ بين التجربة الشعرية الذاتية وما يصطدم بها من أخلاق ومقاييس دينية.

. ابن جني (أبو الفتح، عثمان بن جني، ت ٣٩٢هـ).

في شرحه لديوان أبي الطيب المُتنبي (ت ٣٥٤هـ) وَرَدَ بيتٌ للمتنبي يمدح طاهر بن الحسين [١١٧]:

وأبهر آيات التهامي أَنَّهُ أبوك وإحدى ما لكم مِن مَنَاقِبِ

قال ابن جني: « يريد التهامي النبي ﷺ ، وقد أكثر الناس القولَ في هذا البيت، وهو في الجملة شنيع الظاهر، وقد كان يتعسف في الاحتجاج له الاعتذار منه بما لستُ أراهُ مُقنعًا، فأضربتُ عن ذكره، ومع ذلك فليست الآراء والاعتقادات في الدين بما يقدح في جودة الشعر ورداءته، لأنَّ كلًّا منفرد عن صاحبه .. » [١١٨].

وهو برأيه هنا يقفُ مَعَ مَنْ سَبقه في هذه القضيَّةِ.

. ابن وكيع التنيسي (الحسن بن علي، ت٣٩٣هـ)

عند إيراده بيتي أبي الطيب المتنبي[١١٩]:

---

[111] نقد الشعر: ٢٠.

[112] المصدر نفسه: ٢١.

[113] ينظر مقالنا عن قدامة بن جعفر: مجلة الفيصل (العدد ١٣٦ - ١٩٩٢) ٦٥.

[114] نقد الشعر: ١٨٩.

[115] مفهوم الشعر: ١٥٦.

[116] الأغاني: ١٨٠/٤ .

[117] ديوان أبي الطيب المتنبي: ٢١١.

[118] الفسر: ٣٤٦/١، وينظر: النظام في شرح ديوان أبي تمام: ٢٣٢/٤ - ١٣٦.

[119] المنصف للسارق والمسروق منه: ٢٣٧/١.

يـــا أيهـــا الملـــك المـــصفى جـــوهرًا مـــن ذات ذي الملكـــوت أَســـمَى مَـــنْ سَـــمَا
نُـــورٌ تَظَـــاهَرَ فيـــك لاهُوتِيَّـــةً فتكـــاد تـــعلمُ عِلْـــمَ مَـــا لـــنْ يُعلَمَـــا

قال ابن وكيع: « هذا مدح متجاوز، وفيه قلة ورع وترك للتَّحَفُّظ، لأنه جعله من ذات الباري، وذكر أَنَّهُ قد حلَّ فيه نُورٌ لاهوتيّ» [١٢٠].

ويعلق على أبيات المتنبي الشهيرة[١٢١]:

أَيُّ مَحَـــــــــــلٍّ أرتَقِـــــــــــي أَيُّ عَـــــــــــظيمٍ أَتَّقِـــــــــــي
وكـــــل مـــــا خلـــــق اللـــــه ومـــــا لَـــــمْ يخلـــــقِ
محتقـــــــــرٌ فـــــــــي هِمَّتِـــــــــي كَـــــــــشَعرَةٍ فـــــــــي مفرقـــــــــي

ويقول: « هذه أبياتٌ فيها قلةُ وَرَعٍ ، احتقر ما خلق الله . عزَّ وجلّ . وقد خلق الأنبياء والملائكة والصالحين وخلق الجن والملوك والجبارين، وهذا تَجَاوَزَ في العجب الغاية، ويزيد على النهاية، وقد تهاون بما خلق الله وما لم يخلق. فكأنه لا يستعظم شيئًا مِمَّا خَلَقَ الله، وهو من خلق الله ـ عزَّ وجلّ ـ الذي جميعه عنده كشعرة في مفرقه، وهذا مما لا أحب إثباته في ديوانه لخروجه عن وجه الكبر إلى حد الكفر» [١٢٢].

فَابنُ وكيع يقفُ مع المحافظين ـ كابن قتيبة ـ في عدم تجاوز الشاعر حده وخروجه عن القيم والأَخلاق.

ـ القاضي الجرجاني (علي بن عبد العزيز، ت ٣٩٦هـ)

في كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه) حاول الجرجاني أن يقفَ مُدافعًا عن أبي الطيب المتنبي ضد مناوئيه الذين حاولوا الغض من قدرة هذا الشعر وعابوا أبياتًا له، أَوَّلُوهَا على غير ما أرادها فيقول: « والعجب ممَّن ينتقص أبا الطيب، ويغض مَن شعره لأبيات وَجَدَهَا تدلُّ على ضعف العقيدة، وفساد المذهب في الديانة ، كقولِهِ:

يترشَّـــفْنَ مـــن فمـــي رشـــفَات هـــنَّ فيـــهِ أَحلَـــى مِـــنَ التَّوحِيـــدِ

.. وهو يحتمل لابي نواس قوله:

قـــــلت والكـــــأس علـــــى كـــــفِّي تهـــــوي لأُتِـــــثامي
أنـــــا لا أعـــــرف ذاك الـــــيوم فـــــي ذاك الزحـــــامِ

ثم يُصرِّحُ بموقفه الذي يفصل بين تجربة المتنبي والمواصفات الدينية والأخلاقيَّة، فيقول قولته المأثورة: (فلو كانت الديانَةُ [١٢٣] عِيَارًا على الشِّعر، وكانَ سُوء الاعتقاد سببًا لتأخُّرِ الشَّاعِر، لَوَجَبَ أَنْ يُمحَى أبو نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية وممن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أنْ يكون كعب بن زهير وابن الزبعرَى وإضرابهما ممن تناول رسول الله ﷺ وعاب من أصحابه بُكمًا وخرسًا وبكاء مفحمين، ولكنَّ الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر» [١٢٤].

وهو رأيٌ يصدرُ عن ناقدٍ حصيفٍ لا فقيه أو متكلم.

ـ الثعالبي (عبد الملك بن إسماعيل، ت ٤٢٩هـ)

---

[120] ديوان أبي الطيب المتنبي: ٩.

[121] ديوان أبي الطيب المتنبي: ٤٥.

[122] المنصف للسارق والمسروق منه: ١٦٧.

[123] في الأصل: (عارًا) ، وهو خطأ لا يستقيم به المعنى.

[124] الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٦٤، وينظر: فن الشعر: ٧٠ ـ٧١.

كانت مقولة القاضي الجرجاني السابقة موضع نظر عند ناقد كبير كالثعالبي، لكنه أضاف إليها وعدل فيها، فحين ساق آراء العلماء في المُتنبي قال: « وعلى أنَّ الديانة ليستْ عارًا على الشعراء، ولا سُوء الاعتقاد سَببًا لتأخُّرِ الشاعر، ولكن للإسلام حقّه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولًا وفعلًا ونظمًا ونثرًا، ومَن استهان بأمره ، ولم يصح ذكره وذكر ما يتعلَّق به في موضوع استحقاقه فقد باء بغضبٍ من الله تعالى ، وتعرَّضَ لمقتِهِ في وقتِهِ» [١٢٥] .

وقد طبَّق الثعالبيُّ رأيَهُ هذا في فرض الرقابة الدينية والأخلاقيَّة على الشعر حين هجَّنَ أبياتًا ومقطَّعاتٍ سَاقَهَا في تراجم أصحابها خرجوا على الدين والأَخلاق[١٢٦]، بل أشار إلى أَنَّهُ أَسقَطَ منها ما يتعارض معَهما[١٢٧].

على أننا نرى ـ في الوقت نفسه ـ أنَّ الثعالبيَّ أَفرَدَ في كتابه (اليتيمة) تراجمَ لِشُعراء اشتهروا بالمجون والسُّخفِ، وخرجُوا على قواعد الأَخلاق، وعلل ذلك بقوله: « ولولا أَنَّ جدَّ الأَدَب جد، وهزله هزل ـ كما قال إبراهيم بن المهدي ـ لَصُنتُ كِتابي هذا عن كثيرٍ من كلام من يمد يد المجون فيعرك بها أذن الحرم ، ويفتح جَراب السخف فيصفع بها قفا العقل، ولكنه على علَّاتهِ تتفكه الفضلاء بثمار شعره، وتستملح الكبراء ببنات طبعه، وتستخف الأَدَباء أرواح نظمه، ويحتمل المحتشمون فَرْطَ رَفثِهِ وقذعهِ، ومنهم مَنْ يَغلُو في المَيل إلى ما يُضحِكُ وُيمتِعُ مِن نَوَادِرِهِ ... » [١٢٨].

فالثعالبيُّ[١٢٩] في هذا النص والذي قبله إذا كان قد رَبَطَ بين الشعر والأَخلاق فإنَّهُ ـ تطبيقًا ـ أثبت قصائد لشعراء تناقِضُ ما قَرَّرَهُ ـ نظريًا ـ وعَلَّلَ الأمرَ بأَنَّ تلك القصائد كانتْ تتناشد في المجالس فَلا يُعابَ عليها أو على قائِلِهَا.

نخلص مما أثبتنا من آراء عن هذه القضية المهمة، « ان أيَّ حكم أخلاقي خارجي على الموضوعات التي يعالجها الشعر لا قيمة له بالنسبة إلى لغة الشعر، لسبب بسيط مُؤدَّاهُ أَنَّ ذلكَ الحكم الأَخلاقي نابعٌ مِن معايير علمٍ مُتَمَيِّزٍ من نقد الشعر، هو: علم الأَخلاق» [١٣٠] ، ومِن ثَمَّ « يبقى التقدير ـ في كلِّ الأحوال ـ خلقيًا وليس فَنيًّا، أو في الأقل، لا يكون التقدير الفني أو الجمالي ظاهرًا في المعيار الخلقي، وإنْ كانَتِ القَيمَةُ الخلقية في أسمى درجاتها قيمة جمالية في ذاتها» [١٣١].

إنَّ البحث يتوقف إلى نهاية القرن الرابع الهجري، مع إدراكي أَنَّ قضية الشعر والأَخلاق تمتد بعد ذلك إلى عصرنا الحاضر، فلا يخلو عصر من الإشارة إليها أو إبداء آراء العلماء والنقاد فيها[١٣٢].

---

[125] يتيمة الدهر: ١٨٤/١.

[126] يتيمة الدهر: ٢١٣/٢ ـ ٢١٨، تتمة اليتيمة: ١١٣/٢.

[127] تتمة اليتيمة: ٧٠٨.

[128] المصدر نفسه: ٣/ ٣١ ـ٣٢ .

(129) أدخلنا الثعالبي ضمن نطاق البحث على الرغم من انه توفي في القرن التالي، وذلك لأنه أَنهَى تأليفَ كتابِه سنة ٤٠٣هـ، ومادَّةُ الكتاب تَخصُّ القَرنَ الرابع الذي نحنُ بصددِهِ .

[130] مفهوم الشعر: ١٢٣.

[131] الشعراء نقادًا: ١٩٩.

[132] ينظر في ذلك: رسالة الغفران: ٣١٠ (رأي المعري ، ت ٤٤٩هـ)، و: سر الفصاحة: ٣٧١ (رأي ابن سنان الخفاجي ، ت ٤٦٦هـ)، و : دلائل الإعجاز: ٩ (رأي الجرجاني ، ت ٤٧١هـ).

فالشِّعرُ لا يمكن أنْ يُحَدَّ بحدود الأَخلاق والدين والمواصفات الرسمية، وهو ما سبقَ أَنْ أَثبتنَاهُ في ما سبق من صفحاتٍ .

الخاتمة والاستنتاجات

في الصفحات التي خلت من هذا البحثِ يُمكننا أَنْ نُلَخِّصَ أهمَّ النتائج التي توصلنا إليها، على النحو الآتي:

١ . إنَّ الشعر روح، وهذه الروح تحتاج إلى طقس أو مناخ يمكن أنْ تحقّق فيه، لكن الشعر في حدود الزمن الذي بحثنا فيه، وحتى الآن . قد اصطدم بكثير من المواصفات الأخلاقيَّة التي حدت من (ذات) الشاعر وإبداعه.

٢- إنَّ الإسلام لم يحرم الشعر، ولكنه أراد منه أنْ يسير وفق الايديولوجية (الفكرة) التي طرحها، من حيث الدفاع عن الإسلام ومبادئه وأسسه .. فالشعراء الذين سايروا الدين الجديد صدروا عن الرؤية الإسلامية للعالم، وهي كلمات واضحة، سواء في كلام الوحي، أو عند الرسول ﷺ ، ومثل هذه الرؤية لا تسمح بتدخل ذات الشاعر، فهو مجرد مثلق أو : مكلف، كما يقال في الفقه ، فَمهمتُهُ تكمن في توضيح هذه الرؤية ، لا في إعادة النظر فيها أو نقدها ، وإنَّ الإجادَةَ عندهُ تَبرزُ في صياغة المضمون، بما يحقق الوضوح الكامل في التعبير.

٣- إنَّ علماء اللغة والفقهاء . ثم السلطة السياسية . كانوا مناوئين للحداثة، فمنهم قد غلبوا القاعدة الذهبية على اللسان (الفطرة) في عملهم النقدي، فمعيار الصحة عندهم ليس النص اللساني بل القاعدة، على الرغم من أَنها استُقِيَتْ من النص، ولقد ترتب على ذلك أَنَّ القاعدة كمنت في النص السابق، كالمعرفة الدينية.

٤ . إنَّ الاتجاه الشديد إلى النص الديني كالقرآن والحديث أو النص الأَدَبي . كالشعر . جاء نتيجة الانصراف من الطبيعةِ إلى الذهن، وصارتِ الثقافة عقيدةً أَرقَى مِنَ الطَّبيعة، ونجَمَ عن ذلك أَنَّ الثقافة العربية الإسلامية نَتَجَت عن الذهن، وأَنَّ نَصيبَ الطبيعةِ قليلٌ جِدًا .

٥ . أَثبتَ البحث أَنَّ الإسلامَ حَاوَلَ تَوظيفَ الشعر والشعراء لأهدافهِ السَّمحة ، ولمَّا خرج (الشعراء الذاتيون) على الرؤية الإسلامية، عَدَّ الإسلام هذا الأمرَ خُرُوجًا على النواميس الدينية؛ لأَنَّ أصحابَهُ أرادوا أَن يُغيِّروا الواقعَ المثالي عندما حاولوا إنتاجه ذاتيًّا(تخييليًّا)، ولمَّا كانَ هذا أمرًا يُنافي الفكر الديني كانَتِ النتيجةُ هي العقابَ الذي واجهه هؤلاء الشعراء، كالقتل، أو النفي، أو الجَلْد، أو هدر الدم، وقد رأينا أَنَّ ذلك يعني إلغاء للشعر، فيصيرونَ بذلكَ أقرب إلى كونهم خطباء.

٦ . أكد البحث أَنَّ الشعراء والأَدَباء هم الذين تقبلوا الشعر الذاتي . الداخلي ، وأدركوا ماهية الشعر وروحه، على أَنَّهُ فعاليَّة جماليَّة تخييليَّة، لا واقعًا أكيدًا.

المصادِرُ والمَرَاجِعُ

القرآن الكريم

١. أبو بكر الصولي ناقدًا، صبحي ناصر حسين، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٧٥م.

٢. الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة : بدر الدين الزركشيّ (ت ٧٩٤هـ) ، حقَّقهُ د. (محمد) بنيامين أرول، راجعهُ شُعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٣. أخبار أبي تمام: أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥هـ)، تحقيق خليل محمود عساكر وزميله، مصر، ١٩٧٣م .

٤. اختيار من كتاب الممتع في علم الشعر: عبد الكريم (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق د. محمود شاكر القطان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

٥. الإسلام والشعر: د. يحيى الجبوري، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٤م.

٦. الأغاني:أبو الفرج عليّ بن الحسين الأصفهانيّ (ت ٣٥٦هـ) ، تَحقِيق د. إحسان عَبَّاس وزميليهِ، دار صادر، بيروت ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

٧. أمالي المرتضَى (غُرَرُ الفوائد ودُرَرُ القلائد) : عليّ بن الحُسين المرتضَى (ت ٤٣٦هـ) ، تَحقِيق مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم ، البابي الحلبيّ، القَاهِرَة، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

٨. أمية بن أبي الصلت حياته وشعره، تحقيق د. بهجة الحديثي، دار الشؤون الثقافية العامَّة، بغداد، ١٩٩٠م.

٩. البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

١٠. تاريخ النقد الأَدَبي عند العرب: د. إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م.

١١. تاريخ النقد الأَدَبي عند العرب: د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربيَّة، بيروت، ١٩٨٠م.

١٢. تاريخ النقد الأَدَبي عند العرب: طه أحمد إبراهيم، دار الحكمة، بيروت، ١٩٧٢م.

١٣. تتمة اليتيمة:عبد الملك بن مُحمَّد بن إسماعيل الثَّعَالِبيّ (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق عباس إقبال، طهران ١٣٥٣هـ.

١٤. التطور والتجديد في الشعر الأموي: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٧١م.

١٥. التيار الإسلامي في شعر العصر العباس الأول : د. مجاهد مصطفى بهجت، بغداد، وزارة الأوقاف، ط١، ١٩٨٢م.

١٦. جمع الجواهر: أبو اسحق القيرواني الحصريّ (ت ٤٥٣هـ) تحقيق عليّ محمد البجاويّ ، القاهرة ، ١٩٥٣م.

١٧. جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٨. الحيوان: الجاحظ: تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٦م . ١٩٣٨م.

١٩. دراسات نقدية في الأَدَب العربي: د. محمود عبد الله الجادر، الموصل، ١٩٩٠م.

٢٠. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) تحقيق السيد محمد رشيد رضا، القاهرة ١٣٧٢هـ.

٢١. ديوان أبي الطيب المتنبي ، تحقيق د. عبد الوهاب عزَّام ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٢هـ/١٩٤٤م.

٢٢. ديوان أبي محجن الثقفي: شرحه أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، مطبعة الازهار البارونية، مصر، د. ت.

٢٣. ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت (ت ٢٤٦هـ) ، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٤. ديوان العَبَّاس بن الأحنف (ت ١٩٢هـ) ، شرح وتَحقِيق د. عاتكة الخزرجيّ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ،١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

٢٥. ديوان النابغة الجعديّ : جَمَعَهُ وحَقَّقَهُ وشَرَحَه د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت ، ١٩٩٨م.

٢٦. ديوان النجاشي الحارثي: دراسة وجمع وتحقيق عبد العزيز إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١١م.

٢٧. ديوان الهذليين: اعتناء أحمد الزَّين، دار الكتب المصريَّة، القاهرة ، ١٣٤٦هـ/١٩٤٥م.

٢٨. ديوان امرئ القيس: تَحقِيق مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القَاهِرَة، ١٩٦٩م.

٢٩. ديوان أيمن بن خريم: صنعة وتحقيق الطيب العشاش، دار المواهب، بيروت ، ١٤١٩هـ/١٩٧٩م.

٣٠. ديوان بشار بن برد: نشرَهُ وقدَّم لهُ مُحمَّد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ، ١٩٥٠م.

٣١. ديوان جرير: شرح محمَّد بن حبيب، تحقيق د. نعمان محمَّد أمين طه، دار المعارف، ط ٣، القاهرة، ١٩٨٦م .

٣٢. ديوان سحيم عبد الحسحاس: تحقيق: عبد العزيز الميمني، القاهرة، مطبعة الكتب المصرية، ١٩٩٥م.

٣٣. ديوان طرفة بن العبد: شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

٣٤. رسالة الغفران: أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، ط٥، ١٩٧٧م.

٣٥. زهر الآداب وثمر الألباب: إبراهيم بن عليّ بن تميم الحصريّ القيروانيّ (ت ٤٥٣هـ) ، تَحقِيق عليّ مُحمَّد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، القَاهِرَة ، ١٩٥٣م .

٣٦. سِرُّ الفَصَاحَةِ: ابنُ سنان الخفاجيّ (ت ٤٦٦هـ)، تحقيق سليم سليمان، ماجستير، كليَّة الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥م.

٣٧. شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م.

٣٨. شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٠م.

٣٩. شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٩٦٢م .

٤٠. شعر مروان بن أبي حفصة، جمعه وحققه د. حسين عطوان، دار المعارف، ١٩٧٣م.

٤١. الشعر والشعراء: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف.

٤٢. الشعراء نقادًا: د. عبد الجبار المطلبي، دار آفاق عربية، منشورات وزارة الإعلام، بغداد ١٩٨٦م.

٤٣. طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحيّ (ت ٢٣١هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٧٤م.

٤٤. العصر الإسلامي: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م.

٤٥. العصر العباسي الأَول : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٩٩م.

٤٦. العقد الفريد: أحمد بن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٣٥٩هـ.

٤٧. العمدة: الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) ، تحقيق محمد محيي عبد الحميد ، دار الجيل، ط ٤، ١٩٧٢م.

٤٨. عيار الشعر : محمد بن أحمد بن طباطبا العلويّ (ت ٣٢٢هـ) ، تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٥م.

٤٩. فحولة الشعراء : الأصمعي (ت ٢١٦هـ) ، تحقيق المستشرق ش. تورِّي ، قدم لها د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٥٠. الفَسر ؛ شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبيّ:صنعةُ أبي الفتح عثمان بن جِني (ت ٣٩٢هـ) ، حقَّقهُ وقدَّمَ لهُ د. رضا رجب ، دار الينابيع، دِمشق ، ٢٠٠٤م .

٥١. الكامل في اللغة والأدب: مُحمَّد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥هـ)، تَحقِيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة.

٥٢. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر:أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكريّ (ت ٣٩٠هـ) ، تحقيق عليّ محمَّد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، القاهرة، ط ٢، ١٩٧١م.

٥٣. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م.

٥٤. محاضرات في تاريخ النقد عند العرب: د . ابتسام مرهون الصفار ود. ناصر حلاوي، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٩٩٠م.

٥٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١ م .

٥٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن عليّ الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، دار القلم، بيروت، د. ت.

٥٧. مُعجم الشُّعَرَاء: أبو عبد الله مُحمَّد بن عمران بن موسى المرزبانيّ (ت ٣٨٤هـ) ، تَحقِيق وتتمّة د. عَبَّاس هاني الجرَّاخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.

٥٨. مفهوم الشعر، دراسة في التراث الشعري : د. جابر أحمد عصفور، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت.

٥٩. مقالات في تاريخ النقد العربي : د. داود سلوم ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨١م.

٦٠. المنصف للسارق والمسروق منه : الحسن بن علي الضبي التنيسي، المعروف بابن وكيع (ت ٣٩٣هـ)، حَقَّقَهُ وقدَّمَ لهُ عمر خليفة بن إدريس، جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٤م.

٦١. المنصف للسارق والمسروق منه: الحسن بن علي الضبي التنيسي، المعروف بابن وكيع (ت ٣٩٣هـ) ، حَقَّقَهُ وقدَّمَ لهُ عمر خليفة بن إدريس ، جامعة قار يونس، بنغازي ، ١٩٩٤م.

٦٢. الموشَّح ؛ مآخذ العلماء على الشُّعَرَاء : مُحمَّد بن عمران المرزبانيّ (ت ٣٨٤هـ) ، تَحقِيق عليّ مُحمَّد البجاويّ ، مطبعة نهضة مصر، القَاهِرَة ،١٩٦٥م.

٦٣. النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمَّام: أبو البركات المبارك بن أحمد الإربلِّي المعروف بابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ) ، دراسة وتحقيق د. خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافية العامَّة، بغداد، ٢٠٠١م.

٦٤. نقد الشعر: قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨م.

٦٥. النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف: د. داود سلُّوم ، مكتبة الأندلس، بغداد ، ١٩٧٠م.

٦٦. النقد المنهجي عند العرب : د. محمد مندور، مطبعة نهضة مصر، القاهرة ، ٢٠٠٤م.

٦٧. النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٦٨. الوساطة بين المتنبي وخصومِهِ: القاضي عليّ بن عبد العزيز الجرجانيّ (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٩٦٦م .

٦٩. يتيمة الدهر: عبد الملك بن مُحمَّد بن إسماعيل الثَّعَالِبيّ (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٦م.

المقالات:

- شعر الحصين بن الحمام المري، جمع وتحقيق د. مهدي عبيد جاسم، مجلة (المَورِد)، مج ١٧،العدد٣، ١٩٨٨م .
- موقف الإسلام من الشعر: عباس هاني الجراخ، مجلة إحياء التراث العربي الإسلامي، العدد ١٦ ، ١٩٨٤م.